الصوائت في القراءات القرآنية المتواترة

أ. شوشة محمد رضا
جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان- الجزائر

ملخص:

لا يزال فن القراءات القرآنية ميدانا أصيلا للبحث اللغوي، واتخذ حقل هذا العلم مساحة كبرى بين علوم العربية، فقد أثمر تراثا غنيا، تأتي في مقدمته كتب الدراسات الصوتية وكذا كتب الاحتجاج والتوجيه، فكانت مجلى نظرات بارعة في درس العربية من جوانبها كافة: الصوتية، والصرفية والنحوية، والدلالية.

Abstract

The art of Koranic readings still a field inherent linguistic research, and made the science field major area between the Arab Sciences, has yielded rich heritage, comes in the preface wrote vocal studies as well as the written protest and guidance, it was the sink looks ingenious in Arabic lesson from aspects of all: the voice, and morphological The syntactic, and semantic.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله .وبعد:

لا يزال فن القراءات القرآنية ميدانا أصيلا للبحث اللغوي ,واتخذ حقل هذا العلم مساحة كبرى بين علوم العربية ,فقد أثمر تراثا غنيا ,تأتي في مقدمته كتب الدراسات الصوتية وكذا كتب الاحتجاج والتوجيه ,فكانت مجلى نظرات بارعة في درس العربية من جوانبها كافة :الصوتية ,والصرفية والنحوية ,والدلالية.

لقد وُسِمَتْ مصنفات علماء الأداء والقراءات والرسم والضبط بأنها أكثر الكتب احتفاءً بالمادة الصوتية؛ وذلك لابتغائها الدقة في تأدية كلمات القرآن الكريم ,قراءةً وتدويناً إلى حدٍّ جعَلَ بعض الباحثين يذهبون إلى أن هذه العلوم انفردت بالدرس الصوتي وأغنته.

ويبدو أنّ هذه الزمرة تمثل الجانب التطبيقي الوظيفي للدراسات الصوتية، وقد ظهرت منذ بواكير نشأة العلوم الإسلامية امتثالا لقوله تعالى: ﴿ **أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا** ﴾ المزّمّل (4) :وصولاً إلى الوجه الأمثل لهذه التلاوة، ووصفاً لأوجه

الأداء المختلفة التي تبدّت في القراءات القرآنية وانطوى عليها الرسم العثماني للمصحف .لكنّها اقتصرت بادئ الأمر على المشافهة والتلقين دون الكتابة والتدوين، ثم ظهرت مصنّفات القراءات القرآنية التي عنيت ببيان وجوهِ الأداء المختلفة معزوّةً إلى ناقليها، واشتملت وجوهُ الأداء على الكثير من الظواهر الصوتية؛ كإدغام المتماثلين والمتقاربين وإظهارهما، وإمالة الألف والفتحة وفتحهما ,والاختلاس والروم والإشمام ,والفرق الزمني وكذا الصوتي بين الوقف والسّكت والقطع ,ونبر الهمز وتسهيله وإبداله وحذفه وغيرها.

يدرس هذا المقال المتواضع حالة الصوائت في القراءات القرآنية المتواترة عبر مسالك أربعة :الأول :الصوائت :تعريف وتقسيم ,الثاني :مد الصوائت , الثالث :حذف الصوائت ,والرابع :قلب الصوائت.

المسلك الأول :الصوائت :تعريف وتقسيم.

الصوائت في العربية على نوعين :صوائت أصول ,وهي الفتحة والضمة والكسرة ,والألف والواو والياء المديتان ,وصوائت فروع وهي تنويعات نطقية للصوائت الأصول ,أو تشكيلات صوتية خاصة لدى بعض اللهجات وقد وردت هذه التنويعات في القراءات القرآنية المتواترة.

والصوائت الفروع إما أن تكون مركبة أو بسيطة .فالمركبة كالإشمام في : "قيل ,"و"غيض "قرأها هشام والكسائي من السبعة ,أي :إشمام الكسر بالضم . والبسيطة إما أن تكون إمالة أو إخفاء فيشمل الاختلاس والروم.

1-الإمالة :تتفرع الإمالة في فن الأداء والقراءات إلى قسمين :كبرى , وصغرى .

1-1 **الإمالة الكبرى**" :

تقريب الفتحة من الكسرة ,والألف من الياء من غير قلب خالص ولا إشباع مفرط .وإذا أُطلِقت الإمالة انصرفت إليها ."

ومن مرادفات الإمالة الكبرى :الإمالة المحضة ,الإضجاع ,البطح , الإمالة الشديدة ,اللَيُّ ,الإجناح ,الإشباع ,والألف المعوّج.

2-1 الإمالة الصغرى:

:هي مابين الفتح والإمالة الكبرى ,وهي أصعب في النطق من الإمالة الكبرى؛ لأنها مَرتبة وسطى بين الفتح والإمالة المحضة .ولذلك قلّ إتقانها عند قَرَأَةِ القرآن .

قال أبو شامة(ت 665 :هـ" :)وأكثر الناس ممن سمعنا قراءتهم أو بلغنا عنهم يلفظون بها على لفظ الإمالة المحضة ,ويجعلون الفرق بين المحضة وبين بين –الصغرى –رفع الصوت بالمحضة وخفضه بين بين ,وهذا خطأ ظاهر فلا أثر لرفع الصوت وخفضه."

ومن مرادفات الإمالة الصغرى :التقليل ,التلطيف ,بين اللفظين ,بين بين –أي :بين لفظي الفتح والإمالة الكبرى ,–والإمالة المتوسطة أو الوسطى.

مخطط توضيحي يبين الفرق بين الإمالة والتقليل:

الفتحة التقليل ,أو الإمالة الصغرى

الألف

الإمالة الكبرى ,أو الإبطاح

الكسرة

الياء

والقراء في الإمالة على ضربين :منهم من أمال ,ومنهم من لم يمل.

والضرب الأول :قسمان :مقلّ وهم :قالون وابن عامر وعاصم .ومكثر :وهم : ورش ,وأبو عمرو ,وحمزة ,والكسائي .

وأصل حمزة والكسائي الإمالة الكبرى ,وأصل ورش الصغرى ,أما أبو عمرو فمتردد بينهما جمعا بين اللغتين.

وبقي عبد الله بن كثير من القراء على ضرب من لم يمل.

والغرض الأصلي للإمالة أو التقليل :هو تناسب الأصوات وتقاربها؛ لأن النطق بالياء والكسرة مُتسفّل ,وبالفتحة والألف مُتَصعِّد مستعلٍ ,وبالإمالة تصير الأصوات من نمط واحد في التسفُّل والانحدار ,وقد ترد الإمالة للتنبيه على أصل الألف.

قال ابن الجزري(ت 833 :هـ" :)وأما فائدة الإمالة فهي سهولة اللفظ ,وذلك أن اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة ,والانحدار أخفُّ على اللسان من الارتفاع، فلهذا أمال من أمال .وأما من فتح فإنه راعى كون الفتح أمتن أو الأصل .والله أعلم."

واختُلف في أصل الكلام هل هو الفتح أو الإمالة .فرأي ابن الجزري والبنا الدمياطي(ت 1117 :هـ)أن الإمالة فرع عن الفتح بدليل أن الإمالة لا تكون إلا عند وجود سبب من الأسباب ,فإن فُقد سبب منها لَزِم الفتح ,وإن وُجد شيء منها جاز الفتح والإمالة ,فما من كلمة تمال إلا وفي العرب من يفتحها ,والعكس لا يصح .وهذا دليل في اطّراد الفتح وتوقف الإمالة على أصالة الفتح وفرعية الإمالة .

2- مفهوم الإشمام أداءً

" :هو ضم الشفتين بلا صوت عند النطق بالحركة ,ويدركه البصير؛ لأنه يرى ضم الشفتين ,ولا يدركه الأعمى؛ لأنه لا يرى حركة الشفتين ,لكنه يسمع أثر الإشمام على المخرج." وقد قرأ بالإشمام من السبعة هشام عن ابن عامر والكسائي في كلمات: ﴿ **وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾ هود :٤٤. جاءت في القرآن الكريم .وقرأ ابن عامر والكسائي بكمالهما لفظ بالإشمام في موضعه من قوله **تعالى** ﴿ **وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ**﴾ سبأ:٥٤.

وقرأ نافع وابن عامر والكسائي لفظي ﴿ **وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ**﴾ هود :٧٧﴿ **فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ**﴾ الملك :٢٧ (في موضعه بالإشمام.

واعتُبر الإشمام صائتا مركبا لأنه يكون بنطق ضمة خفية بعد فاء الكلمة متلوة بياء ساكنة .قال الأزهري(ت380 :هـ" :)ومن ضمّ فإنه يشمّ ولا يشبع الضم ,والعربي الناشئ في البادية يطوع لسانه لضمة خفية يجفو عنها لسان الحضري المتكلف ."

فمن أشمّ أراد أن يبقي في أوائل هذه الأفعال دلالة على البناء للمجهول ,زيادة في البيان ,ومن شأن العرب في كثير من كلامها المحافظة على بقاء ما يدل على الأصول؛ فأصل المبني للمجهول من الثلاثي الأجوف نحو : قال ,جاء ,أن يكون على :قُوِل ,وجُيِئ ,غير أنهم استثقلوا الكسرة على العين , فنقلت إلى الفاء بعد طرح حركتها :قِوْل ,جِيْء ,فإن كان معتلا بالواو قلبت ياء لسكونها بعد كسر :قيل.

قال ابن أبي مريم) ت565 :هـ (في تعليل اختصاص الإشمام بالضمة دون غيرها من الحركات" :لأن الإشمام تهيؤ اللفظ بالضمة وضم الشفتين استعدادا لإخراج ما كان من جنس الواو ,وهذا لا يمكن مع الإشارة إلى الكسرة أو الفتحة."

3-مفهوم الاختلاس أداءً :

"هو إخفاء الحركات بنقص تمطيطها ,بما قد خصّه النص منها والنقل المتواتر الصحيح .فالاختلاس في حقيقته العملية :هو الإتيان بثلثي حركة الحرف ,بحيث يكون المنطوق به من الحركة أكثر من المحذوف منها ."

وبيّن عبد الصبور شاهين أن الحركة في الاختلاس تكون أقصر زمنا , وتكاد تفقد الجهر مثلما يحدث في الإسرار أو الوشوشة .

ومن أمثلة الاختلاس في القراءات السبع :ما قرأه الدوري بخُلْف عنه عن أبي عمرو البصري بالضمة المختلسة في الراء في قوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ الأعراف :**١٥٧**﴿ **أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ** ﴾ الملك :20 ﴿ **وَأَقْسَمُوْا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لاَ يُؤْمِنُوْنَ**﴾ الأنعام :١٠٩ ,(ويخلف عنه أيضا بكسرة مختلسة في الهمزة ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ البقرة :٥٤ ,(والوجه الثاني هو السكون المحض.

ويُلاحظ دوران الاختلاس في الضم والكسر ,ويكون في الفتح على قلة .قال أبو علي الفارسي) ت377 :هـ" :(واعلم أن الحركات التي تكون للبناء والإعراب يستعملون في الضمة والكسرة منهما على ضربين :أحدهما : الإشباع والتمطيط .والآخر :الاختلاس والتخفيف .وهذا الاختلاس والتخفيف

إنما يكون في الضمة أو الكسرة ,فأما الفتحة فليس فيها إلا الإشباع ,ولم تخفف الفتحة بالاختلاس."...

4- **مفهوم الروم أداءً**" :هو النطق ببعض الحركة وقفا ,أو تضعيف الصوت بالحركة حتى يذهب معظمها ,وهو عند النحاة النطق بالحركة بصوت خفي ,ويسمعها القريب من المصوت المتكلم ,وهو عند القراء غير الإخفاء وغير الاختلاس ,ويكون في المرفوع والمضموم والمجرور والمكسور ,ويكون الثابت فيه من الحركة أقل من الذاهب ."

وفي معنى الروم خلاف بين القراء واللغويين ,فعند القراء :نطق ببعض الحركة ,وعند اللغويين :نطق الحركة بصوت خفي.

وتظهر فائدة الخلاف بين الفريقين في الفتح ,فعلى معنى القراء لا يدخل الروم عليه؛ لأنه حركة خفيفة ,إذا خرج بعضها خرج سائرها ,لأنها لا تقبل التبعيض كما يقبله الكسر والضم لما فيهما من الثقل.

وعلى معنى اللغويين فإن الروم يدخل على الفتح كما يدخل على الكسر والضم؛ لأن الروم عندهم إخفاء الحركة ,وذلك غير ممتنع في الحركات الثلاث .

قال الإمام الشاطبي(ت590 :هـ :)

*** .....وَرَوْمُكَ عِنْدَ الْكَسْرِ وَالْجَرِّ وُصِّلاَ

وَلَمْ يَرَهُ فِي الْفَتْحِ وَالنَّصْبِ قَارِئٌ *** وَعِنْدَ إِمَامِ النَّحْوِ فِي الْكُلِّ أُعْمِلاَ

قال المهدوي(ت440 :هـ)في علة عدم الروم في الفتح ..." :فإنه لم يجز الروم في المفتوح؛ لأن الفتح خفيف لا يتبعض لخفته ,فخروج بعضه كخروجه كله ,فإذا رمت الفتحة التبس الروم بالحركة المشبعة ."

مثال الروم:

الهمز الساكن بسكون عارض مكسور بعد فتح وصلا ,نحو قوله تعالى: ﴿**عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ** ﴾ النبأ ,(2 :وثر تح تخ ثر .ففيه وجهان لحمزة وهشام وقفا : الأول :إبدال الهمزة ألفا .والثاني :تسهيلها مع روم كسرتها.

ويشارك الرومُ الاختلاسَ في تبعيض الحركة ,ويخالفه أنه لا يكون في نصب أو فتح ويكون في الوقف فقط ,والثابت فيه من الحركة أقل من الذاهب .

أما الاختلاس فيكون في كل الحركات ولا يختص بالوقف ,والثابت من الحركة فيه أكثر من الذاهب وقدّره الأهوازي) ت446 :هـ (بثلثي الحركة .

المسلك الثاني :مد الصوائت.

-1المد اصطلاحا" :

هو عبارة عن زيادة مطٍّ في حرف المدّ على المدّ الطبيعي ,وهو الذي لا يقوم ذات حرف المد دونه."

والحرف الذي يسبق حرف المد يسمى" :الحرف الممدود ,"مثل كلمة : (ژ**همم** ژ ,فالنون حرف ممدود وكذلك الحاء والهاء ,وهذه الكلمة اجتمعت فيها أحرف المد الثلاثة :الألف المفتوح ما قبلها ,والواو المضموم ما قبلها ,والياء المكسور ما قبلها .وعليه ,فلا يأتي حرف المد في أول الكلمة؛ لسكونه والعرب لا تبدأ بساكن ,ولأنه لم يسبقه حرف ممدود.

ولقد ثبت المدّ في القرآن الكريم ,ثبوتا علميا وأدائيا مُتلقًى عن رسول الله , فقد كان ابن مسعود يقرئ القرآن رجلا ,فقرأ الرجل ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾ التوبة (60 : مرسلة من غير مدٍّ ,قال ابن مسعود :ما هكذا أقرأنيها رسول الله !!

قال :أقرأنيها :ژ ير **يز يم** ژ ,فمَدّدها .

والمدّ في حقيقته صورة من صور التأني في تلاوة القرآن الكريم ,وقد وصف أنس بن مالك قراءة النبي فيقول" :كانت قراءة النبي مدا .يمد ببسم الله ,ويمد بالرحمن ,ويمد بالرحيم."

وبعد تقصي مناهج القراء السبعة ورواتهم وملاحظة التغيرات الصوتية على مستوى مدّ الصوائت وخاصة :المتصل والمنفصل ,يمكن استخلاص ما يلي :

أجمع أهل الأداء على عدم قصر المد المتصل لجميع القراء ,غير أنهم اختلفوا في مقداره .فقرأ بالإشباع بمقدار ست حركات ,ورش وحمزة بكماله . وقرأ الباقون بالتوسط .

قال ابن الجزري" :فوجب أن لا يُعتقد أن قصر المتصل جائز عند أهل القراء ,وقد تتبعته فلم أجده في قراءة صحيحة ولا شاذّة بل رأيت النص بمدّه."

أما المد المنفصل فقد قرأه بالإشباع ورش وحمزة أيضا ,وقرأ بالتوسط قولا واحدا ابن عامر وعاصم والكسائي ,وبالوجهين- أي :القصر والتوسط -قرأ كلٌّ من قالون ودوري أبي عمرو .وقرأ بالقصر قولا واحدا :ابن كثير بكماله , والسوسي .

المسلك الثالث :حذف الصوائت .

لعل أهمّ ما يميّز التغيّر الصوتي في الصوائت من خلال الدراسة المقارنة للقراءات القرآنية المتواترة هو ذلك التغير على مستوى حذف الصوائت بنوعيها :القصيرة والطويلة.

-1حذف الصوائت القصيرة:

يُراد بحذف الصوائت القصيرة في القراءات القرآنية المتواترة إسكان المتحرك سواء أكان حرف إعراب أم لا .وقد قرأ أبو عمرو البصري بإسكان الضم في الحرف الثاني من لفظ" :رسل "إذا كان مضافا لضمير العظمة نحو:

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ الحديد :٢٥﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ الحديد :٢٧ ,(أو ضمير المخاطبين نحو: ﴿ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ غافر :٥٠ ,(أو ضمير الغائبين نحو ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ غافر :٨٣ ,(فإذا كان هذا اللفظ مضافا لضمير مفرد نحو :﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ النساء :١٧١ ,(أو لم يكن مضافا نحو﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن

بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ البقرة: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ النساء :١٦٥ ,(فقد قرأه أبو عمرو بضم السين كالجماعة ,وقرأ الباقون بضم السين في الجميع.

وحذف أبو عمرو الصائت القصير فقرأ بإسكان الباء في قوله تعالى : ﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ إبراهيم,(:١٢ ﴿ والَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ العنكبوت :٦٩ ,)وقرأ الباقون بالضم.

وقرأ نافع لفظ ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾(العنكبوت :٦٩ ,)بإسكان ضم الذال كيف أتى سواء كان هذا اللفظ معرفا نحو﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (المائدة :٤٥ ,)أو منكرا مثل قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ

﴿لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ التوبة : ٦١ ,) ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ الحاقة :١٢ ,) أو مضافا نحو﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ التوبة :٦١ ,) أو مثنى كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ لقمان :٧ ,) وقرأ غيره بضم الذال في الجميع.

وقد ذكر ابن جني(ت 392 :هـ)إن إسكان المتحرك لغة تميمية , قال" :هذه اللغة تميمية ,يقولون في :رسُل) :رسْل ,(وفي :كتُب) :كتْب."...(

والإسكان يكون في الضم والكسر ,ولا يكون في الفتح إلا شاذا لخفّته .

ويرى بعض الباحثين أن اللهجة التميمية في حذف الحركات فرع على اللهجة الحجازية ,وأن هذا الحذف يلائم عادات البدو في سرعة النطق؛ لميلهم إلى الاقتصاد في الجهد العضلي ,ولا شك أن حذف الحركات فيه خفة وتيسير , وهو ما يسعى إليه التميمي البدوي ,بخلاف الحجازي المتحضر الذي يسعى إلى إعطاء كل صوت حقه من البيان.

2-حذف الصوائت الطويلة :

1. قرأ السبعة إلا ابن كثير بحذف الصائت الطويل في نحو قوله تعالى :﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾) البقرة:٢ ,)فابن كثير على صلة الهاء في" :فيه "بياء ,وقرأ الباقون بحذفها.

ولما كانت هاء الكناية اسما على حرف واحد ,وهو حرف خفي قوّوه بزيادة واو ,فقالوا" :ضربهو زيد."

فإذا جاءت الهاء بعد كسرة أو ياء ,قلبت الواو ياء ,نحو) :به , وعليه .(وللتغير الصوتي بالحذف في الصائت الطويل علتان :

الأولى :كراهة اجتماع حرفين ساكنين بينهما حرف خفي ليس بحاجز حصين ,فحذفوا الصائت الطويل ,وبقيت حركة الهاء تدلّ عليها.

والأخرى :إن الياء إذا كانت قبل الهاء ,ووصلت الهاء بياء بعدها , اجتمعت ثلاثة أحرف متقاربة .وقد كُره اجتماع الحروف المتقاربة ,حتى خُفف بالحذف والبدل والإدغام.

قال المهدوي" :وقال أصحاب الخليل وسيبويه :إنما زيدت الواو على الهاء لخفاء الهاء ,لتخرجها الواو من الخفاء إلى الإبانة ...لكن الواو إذا زيدت على الهاء وقبل الهاء كسرة قلبت الواو ياء ...وكذلك إذا كان قبل الهاء ياء ساكنة."

والمتأمل في الدراسة الصوتية المعاصرة يرى توجيها من نوع آخر غير الذي ذكره القدماء ,فقد أرجع رمضان عبد التواب تقصير الصائت الطويل بعد هاء الغائب إذا لم يأت قبلها مقطع قصير إلى المخالفة الكمّية بين المقاطع , قال" :ومن المخالفة الصوتية ما يسمى بالمخالفة الكمية بين المقاطع الصوتية , ومن أمثلة ذلك ما يحدث لحركة الضمير المفرد الغائب في العربية الفصحى , فالأصل في هذه الحركة هو الضمة الطويلة ,وتحدث له المماثلة الصوتية مع الكسرات قبله ...وتحتفظ العربية الفصحى بالطول في حركته بعد المقاطع القصيرة ,مثل :له = لهو ,وبه = بهي ,وغير ذلك .كما تُقصّر حركته في العربية بعد المقاطع الطويلة ,عن طريق المخالفة الكمية في المقاطع ,فيقال مثلا :فيه بدلا من فيهي ,ومنه بدلا من :منهو ,وغير ذلك."

المسلك الرابع :قلب الصوائت.

يمكن تصنيف ما جاء في كتب القراءات المتواترة من قلب الصوائت في الزمر الآتية :

-1ما كان جمعا على وزن) فعول (مما عينه ياء ,جاء فيه كسر الأول لثقل الضمات-ضمّتي الفاء والعين وواو المد بعدهما -ولقرب الكسرة من الياء , نحو :بِيوت ,عِيون ,غِيوب ,شِيوخ .

1. وقد قرأ قالون وابن كثير وابن عامر وشعبة والكسائي وحمزة بالكسر في باء" البيوت "نحو :﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ**

مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوْا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوْا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. ﴾) البقرة :١٨٩ ,(وقرأ الباقون بالضمّ.

وقرأ حمزة وشعبة بكسر ضم الغين في لفظ" :الغيوب ,"نحو:ژنى ني هج هم ژ .وقرأ غيرهما بضم الغين.

وقرأ ابن كثير وشعبة وحمزة والكسائي وابن ذكوان بالكسر في العين من" :عيون "سواء كانت منكرة نحو﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ** ﴾ الحجر : ٤٥ . ﴿ **وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ.** ﴾ القمر :١٢ ,)أو كانت معرفة نحو:(﴿ **إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** ﴾) يس : ٣٤ .(وبكسر الشين أيضا في" :شيوخا "من قوله تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ.** ﴾ (غافر :٦٧ .)والباقون بضم العين والشين.

وقرأ ابن كثير وابن ذكوان وحمزة والكسائي بكسر الجيم في" :جيوبهن " من قوله تعالى : ﴿ **وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ**

أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. ﴾ (النور :٣١ ,)وقرأ الباقون بضم الجيم.

قال المهدوي" :من ضم الباء من) البيوت (وأخواته ,فهو على الأصل؛ لأنه جمع) فَعْل (على) فُعُول ,(مثل :صَرْف وصُرُوف ,وحرف وحروف .ومن كسر أوائلها ,فإنه كره أن يخرج من ضمة إلى ياء وذلك ثقيل ."

-2ما كان على وزن) فعول (مما لامه حرف علة ,جمعا كان أو مصدرا ,فإن الواو منه تقلب ياء وتدغم في اللام بعد قلبها ياء إن كانت واوا , فيلزم كسر العين ,ثم تكسر الفاء اتباعا لكسرة العين وياءين بعدها؛ ليعمل اللسان عملا واحدا ,مثل :جِثيّ ,حِليّ ,صِليّ ,عِتيّ.

وقد قرأ حفص وحمزة والكسائي بالكسر في الجيم في لفظ" :جثيا "في موضعيه بمريم من قوله تعالى: ﴿ **أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا.**﴾)مريم :٦٨ ,(و قوله: ﴿ **ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيا** ﴾)مريم :٧٢ ,(وقرأ الباقون بالضم .ومثله لفظ" :عتيا "في موضعيه ,و"صليا "من قوله تعالى: ﴿ **قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيا**﴾) مريم :٨.

-3الهمزات في نحو قوله تعالى :ﭐ سم ﭑ) النساء : ١١ ﴿ **وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ** ﴾) القصص :٥٩ .(قرأها حمزة والكسائي بكسر الهمز فيهما؛ لكونها سُبقت بكسرة أو ياء ساكنة.

قال الإمام الشاطبي:

وَفِي أُمّ مَعْ فِي أُمِّهَا فَلأُمِّهِ *** لَدَى الْوَصْلِ ضَمُّ الهَمْزِ بِالْكَسْرِ شَمْلَلاَ

وقد علّل أبو علي الفارسي هذا التغير الصوتي بالقلب في الصائت حال كسر همزة" :أمّ "بعد كسرة أو ياء ساكنة فقال" :ووجه قول حمزة و الكسائي أن الهمزة حرف مستثقل؛ بدلالة تخفيفهم لها ,فأتبعوها ما قبلها من الياء والكسرة ,ليكون العمل فيها من وجه واحد ...فالهمزة لِما يتعاورها من القلب والتخفيف ,تشبه الياء والواو والهاء ,فتُغيّر كما تغيّر .فإن قلت :فهلاّ فعلوا ذلك بغير هذا الحرف مما فيه الهمزة؟ قيل :إنّ هذا الحرف قد كثر في كلامهم , والتغيير إلى ما كثر استعماله أسرع ."...

خاتمة :

لعل ما يلفت الانتباه في دارسات القدماء أنهم عزوا التغيرات الصوتية في الصوائت على اختلاف أنواعها وأشكالها إلى قانون السهولة والتيسير الذي يعد نقطة الارتكاز الأولى في الدراسات اللغوية الحديثة .فالأصوات اللغوية

تتأثر بعضها في بعض أثناء الأداء؛ نتيجة ميل الإنسان بطبيعته إلى التيسير والتسهيل، واختصار الجهد العضلي الذي يبذله حين النطق، فيلجأ إلى تغيير بعض الأصوات بأصوات أخرى ,ويكون بذلك أيسر في النطق ,وأكثر تآلفاً مع الأصوات الواردة لها، ليحصل الانسجام الصوتي أثناء الأداء.

وإذا كان التغير الصوتي في الصوائت هو كل ما يعتري التركيب الأدائي من تبدل أو اختلاف في الأصوات من مد الصوائت وحذفها وقلبها؛ فإن ذلك يأتي نتيجة تأثير عوامل من داخل الكلمة ناجمة عن تفاعل الأصوات مع بعضها؛ وأخرى من خارجها ناتجة عن تجاور الكلمات ,وتأثيرات العوامل النحوية والصوتية ضمن الجملة؛ مما ينعكس على الأصوات حذفا أو إبدالا أو إعلالا أو إدغاما أو إمالة .

وفي الأخير يمكن القول :إن درس الصوائت في القراءات القرآنية لا يسعه مقال في صفحات ,بل حظه عناية مستمرة ,أو دراسة مفردة له ,تبين أنواع الصوائت وضبطها ,والكشف عن تلك العلاقة المهمة بين صوائت اللهجات العربية وأصولها ,والقراءات القرآنية المتواترة.

قائمة المصادر والمراجع

- إبراهيم المارغيني –النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع – لبنان –بيروت –دار الفكر1424 –هـ2004/م.
- إبراهيم محمد الجرمي –معجم علوم القرآن :التفسير ,التجويد ,القراءات –سورية – دمشق –دار القلم –ط1422 –1:هـ 2001/م.

- الأزهري أبو منصور – تهذيب اللغة –تح :محمد عوض مرعب –لبنان –بيروت – دار إحياء التراث العربي –ط2001 –1:م.
- ابن الجزري شمس الدين –النشر في القراءات العشر –مراجعة :علي محمد الضباع –لبنان –بيروت –دار الكتب العلمية.
- الجندي أحمد علم الدين –اللهجات العربية في التراث –مصر –القاهرة –الدار العربية للكتاب1983 –م.
- ابن جني أبو الفتح عثمان –المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها –تح :علي الجندي ناصف وآخرون –مصر –القاهرة –المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية1999 –م.
- ابن حبان محمد – صحيح ابن حبان –تح :شعيب الأرنؤوط –لبنان –بيروت – مؤسسة الرسالة –ط1414 –2:هـ1993/م.
- الدمياطي البنا –إتحاف فضلاء البشر بقراءات القراء الأربعة عشر –تح :أنس مهرة –لبنان –بيروت –دار الكتب العلمية –ط1419 –1 :هـ1998/م.
- السعران محمود –علم اللغة مقدمة للقارئ العربي –سورية –حلب –منشورات جامعة حلب1994 –م.
- سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان – الكتاب –تح :عبد السلام محمد هارون – لبنان –بيروت –دار الجيل –ط.1 :
- الشاطبي القاسم بن فيره –حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع –ضبط وتصحيح :محمد تميم الزعبي –سورية –دمشق –دار الغوثاني للدراسات القرآنية –ط : 1425 –4هـ2004/م.
- أبو شامة –إبراز المعاني من حرز الأماني –مصر –مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده1349 –هـ.

- الطبراني أبو القاسم – المعجم الكبير –تح :حمدي بن عبد المجيد السلفي – العراق –الموصل –مكتبة الزهراء –ط1404 –2:هـ1983/م.
- عبد البديع النيربابي –الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات –دار الغوثاني للدراسات الإسلامية –سورية –دمشق –ط1427 – 1 :هـ2006/م.
- عبد التواب رمضان –التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه –مصر –القاهرة – مكتبة الخانجي –ط1997 –3 :م.
- عبد الصبور شاهين –أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي –مصر –القاهرة – مكتبة الخانجي –ط1408 –1 :هـ1987/ م.
- عبد الفتاح عبد الغني القاضي –الوافي في شرح الشاطبية –مصر –القاهرة –دار السلام –ط1432 –7 :هـ2011 /م.
- عبد اللطيف الخطيب –معجم القراءات –سورية –دمشق –دار سعد الدين – ط1422 –1:هـ2002 /م.
- الفارسي أبو علي –الحجة للقراء السبعة –تح :بدر الدين قهوجي ,وبشير جويجاتي –سورية –دمشق –دار المأمون للتراث –ط1993 –2 :م.
- القباقبي شمس الدين محمد بن خليل –إيضاح الرموز ومفتاح الكنوز –تح :أحمد خالد شكري –الأردن –عمان –دار عمار –ط2003 –1 :م.
- القيسي مكي بن أبي طالب –الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها –تح :محي الدين رمضان –لبنان –بيروت –مؤسسة الرسالة –ط –4 : 2003م.
- كانتينو جان –دروس في علم أصوات العربية –ترجمة :صالح القرمادي –تونس – الجامعة التونسية 1966 –م.

- الكندي يعقوب بن إسحاق – رسالة علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب – تح :محمد مراياتي وآخرون – سورية –دمشق –مجمع اللغة العربية بدمشق1407 –هـ / 1987م.
- محمد فهد خاروف –التسهيل لقراءات التنزيل –سورية –دمشق –دار البيروتي – ط1420 –1:هـ1999/م.
- محمد منصف القماطي –الأصوات ووظائفها –ليبيا –طرابلس –منشورات جامعة الفاتح1986 –م.
- ابن أبي مريم نصر بن علي –الموضح في وجوه القراءات وعللها –تح :عمر حمدان الكبيسي –السعودية –جدة –الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم –ط –1 : 1993م.
- المهدوي أبو العباس –شرح الهداية –تح :حازم حيدر –السعودية –الرياض – مكتبة الرشد –ط1995 –1 :م.
- الهيثمي علي بن أبي بكر – مجمع الزوائد ومنبع الفوائد –تح :عبد الله محمد الدرويش –لبنان –بيروت –دار الفكر1414 –هـ1994/م.

المحور الثاني

دراسات فقهية